

## الفصل الثاني

الخديو عباس الثاني وبدايات اتصالاته بالحركة الوطنية

---

- (أ) علاقة الخديو عباس الثاني بالحركة الوطنية
- (ب) الخديو والنديم
- (ج) الخديو والشيخ محمد عبده
- (د) نشاط الخديو السرى ضد الاحتلال

## (١) علاقة الخديو عباس الثاني بالحركة الوطنية :

باعتلاء عباس الثاني أريكة الخديوية بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية في مصر ، فقد فرح المصريون بالخديو الجديد لأنهم ييغضون والده الذي استعان بالانجليز في القضاء على الثورة العربية ، وتوسموا في أن يقاوم الخديو الشاب نفوذ الانجليز ، ويخلص البلاد من الاحتلال الذي جثم على صدر البلاد حوالي عشر سنوات<sup>(١)</sup> . وخصوصا بعد أن سمعوا منه أنه لم يكن مستريحا لسياسة والده مع المحتلين<sup>(٢)</sup> ، فأقبلوا عليه ، وأبدوا استعدادهم لوضع أيديهم في يده . وقد ساء الخديو الشاب أن يرى الانجليز مسيطرين على كل مرافق البلاد الحيوية دونه ، فاعتزم وضع حد لهذه الحالة حتى لا يكون دمية في يد الانجليز ، ورسم لنفسه سياسة مقاومة السيطرة البريطانية في أوائل حكمه بقصد أن يكون له يد في ادارة الحكومة ، مما ضايق المعتمد البريطاني كرومر ، وسبب متاعب مزعجة للانجليز<sup>(٣)</sup> ، وجعل الحكومة الانجليزية تلوح بالنصح للخديو ليسيير على سياسة والده توفيق . ويستمتع الى نصائح اللورد كرومر اذا أراد الاحتفاظ بعرشه<sup>(٤)</sup> ، ولكن عباس اتبع عكس ذلك . ومضى في مقاومة سلطات الاحتلال ، وأخذ يتقرب الى الشعب ، واستقبل طوائفه كل شهر كما أفرج عن بعض مسجونى الثورة العربية ومنهم عبد الله النديم<sup>(٥)</sup> وعين بعضهم ن

(١) محمد على علوبة : ذكريات إجتماعية وسياسية ، ص ٩ .

(٢) أحمد شفيق : أعمالى بعد مذكراتى ، ص ٣٢٧ .

(3) H. D. Traill : op. cit., p. 281.

(4) The Parliamentary Debates. for Session 1893 Vol. XIII p. 115.

(٥) الوقائع المصرية : فى ٣ فبراير ١٨٩٢ تحت عنوان « عفو كريمة صادر لنظارة الداخلية بتاريخ ٣ رجب ١٣٠٩ علما بأن الحكومة المصرية تم توافق على عودة المنفيين بسيلان .

Parliamentary Debates Vol. V 1892 p. 441.

وظائف خارج الجيش بفروع النظارات والمأموريات<sup>(٦)</sup> وخصوصا في نظارتي الداخلية والمالية<sup>(٧)</sup> ، وأعاد اليهم نياشينهم<sup>(٨)</sup> ، ومنحيم حق التمتع بجميع الحقوق المدنية .

### (ب) الخديو والنديم :

عاد النديم الى مصر في ٩ مايو ١٨٩٢ بعد اختفاء طويل دام حوالي عشر سنوات ، وظل مترددا بين القاهرة والاسكندرية أكثر من شهر ، فوجد أن تغيرا كبيرا قد حل بالبلاد<sup>(٩)</sup> ، اذ تغلغل الاستعمار في جميع مرافقها ، ووطد للانجليز أركان حكمهم ، وكان الأمر قد استتب لهم تماما ، كما خيم على الشعب المصرى روح الهزيمة والاستسلام بعد أن كان يتأجج بالوطنية ، فقد فترت الهمم زعنا ، وامتألت قلوب الناس رهبة من السياسة وهيبة من الاشتغال بها مما جعل سلطات الاحتلال تعتقد أن سكوت المصريين علامة على رضا أهل البلاد عن الادارة البريطانية<sup>(١٠)</sup> ، وكان بوسع النديم أن يكتفى بما بذله من تضحيات في سبيل مصر ، وأن يجنح الى مسالمة الاحتلال ويخذ الى الراحة بعد المتاعب والأهوال التى تعرض لها أثناء فترة اختفائه<sup>(١١)</sup> ، ولكن وطنيته أبت عليه ذلك ، وآثر استئناف الجهاد ، وقد عبر عن ذلك بقوله

(٦) دار الوثائق : معية سنية عربى - مجموعة ٣٦ سجل ٤٥٣٨٥ ص ٦ تحت بند السردارية بتاريخ ٧ مارس ١٨٩٣ .

(٧) دار الوثائق : ديوان خديو عربى رقم ١٨ - المكاتبات الرسمية بقلم عرضحالات ديوان الخديو تحت بند السردارية فى ١٧ أغسطس ١٨٩٣

(٨) ديوان معية سنية عربى - صادر افادات وتحريرات - مجموعة ٤٢ مسلمان ١٣٤ بتاريخ اول ديسمبر ١٨٩٢ ، مذكرات محمد فريد القسم الأول - الجزء الثالث كراسة ١٦ ص ٣ .

(٩) الاستاذ : العدد الثانى عشر فى ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٢٨٨ تحت عنوان « ثناء وتهنئة » .

(10) Elgood : Egypt and the Army p. 5.

(١١) الرفاعى : الثورة العربية والاحتلال الانجليزى ص ٥١٧

« ودينى الذى فطرت عليه ومذهبى الذى أميل اليه هو تحرير العباد  
واصلاح البلاد واظهار مجد الدين (١٢) » .

وأخذ النديم يدرس أحوال البلاد ليعرف ما فاتته من شئون مصر  
مدة غيابه (١٣) ، ثم تحمل مسئولية ايقاظ الشعور الوطنى فى الشعب ،  
وبث روح المقاومة للاستعمار بين طبقاته ، فحاول اعادة الثقة الى  
الشعب الذى اجتمعت عليه الأحداث ، لتغير من نفسيته حيث انتشرت  
زوح النفاق والنفعية ، ولما كانت الظروف قاسية والعيون تتقرب  
للنديم ، والشروط الذى سحب العفو عنه يحرم العمل فى السياسة  
ولا مجال أمامه للخطابة . فلم يكن أمامه سوى الصحافة ليصل عن  
طريقها الى الشعب .

وقد اتبع النديم أسلوب العمل السرى فى دعوته أول الأمر نظرا  
لتربص الاحتلال به ، وتحريمه للاجتماعات العامة فصار يجمع الشباب  
المثقف حوله ، وكان على رأس هؤلاء مصطفى كامل الذى تتلمذ عليه  
وقرأ مؤلفاته وبفضل ذلك استطاع التعرف على حقيقة التيار السياسى  
فى البلاد ، كما عرف منه الأخطاء التى وقعت فيها مصر وأدت الى  
خسايها .

وقد أفادت هذه المعلومات مصطفى كامل فأخذ يتعرف على مواطن الخطأ  
وأسباب اخفاق الثورة ليتجنبها ، وتبين مصطفى كامل أن خداع السياسة  
الانجليزية كان السبب الرئيسى فى ضرب الثورة العربية (١٤) .

(١٢) د. محمد أحمد خلف الله : عهد الله النديم ومفكراته  
السياسية ص ٩٤ رسالة من النديم الى عرابى- بسيلان .

(١٣) احمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث . القاهرة -  
النهضة المصرية ١٩٤٨ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(١٤) جرجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر  
ج ١ ص ٢٩٥ .

ولما كان الخديو عباس الثانى يبحث عن مؤازرة الوطنيين لمواقفه أمام تسلط المعتمد البريطانى فقد اتصل بالنديم وبمجموعة الشبان الذين تعلموا معنى الوطنية على يديه ، وتوثقت عرى الصداقة بينهم وبينه رغم محاولات كرومر اجتذاب النديم الى الجانب المعادى للخديو .

وقد تضايق أعضاء الأسرة الخديوية من تقريب عباس الثانى للنديم الذى هاجمهم أثناء الثورة العرابية ، ونعت الخديو توفيق بأقذع النعوت وعمل على تفويض ملكهم (١٥) .

وعبرت الحركة الوطنية عن نفسها فى ذلك الوقت عن طريق الصحافة فاستطاع النديم اصدار مجلة أسبوعية تحت اسم الأستاذ بهدف الإصلاح الاجتماعى ، وكتب النديم فيها مقالاته التى تدعو الى ايقاظ الهمم فوجد نفوس الناس مستعدة لتقبلها ، وذاع صيت مجلة الأستاذ وانتشرت انتشارا وافق غيرها من الصحف .

وعلى كل حال فان النديم لم يتعرض فى بداية كتاباته فى صحيفة الأستاذ للاحتلال علانية بل كان ذلك من طرف خفى ، ولما وقعت أزمة الانقلاب الوزارى فى يناير ١٨٩٣ كانت هذه الحادثة بمثابة الحد الفاصل بين توخى النديم الجذر فى كتاباته وبين كشفه النقاب عن معارضته للاحتلال فقام يستنهض الهمم ، ويحرض على مؤازرة الخديو ويثير العواطف القومية ضد الاحتلال (١٦) ، وبدا ذلك واضحا فى مقاله الصادر فى ١٧ يناير ١٨٩٣ تحت عنوان « لو كنم مثلنا لفعلتم فعلنا » حيث بين فيه تشجيع الانجليز على نشر دور القمار والخمر والدعارة

(١٥) ولى الدين يكن : المعلوم والمجهول ص ٣٠ ، ومجلة آخر ساعة العدد ١١٩١ فى ٢١ أغسطس ١٩٥٧ مقال للأستاذ عباس العقاد تحت عنوان « حياة تلم » .

(16) Tignor (Robert) Modernization and British Colonial Rule in Egypt p. 153.

في البلاد ، ووسائل الدول الأوروبية في اضعاف الشرق ، ووضع  
 ما تفعله الحكومات الغربية لتزقية شعوبها وما تنتشره في البلاد الشرقية  
 من انحلال ، ودعا النديم الشعب في هذا المقال الى الالتفاف حول  
 الخديو والمحافظة على حقوقه الشرعية ، كما دعا الى الوحدة القومية  
 وهاجم الشرقيين الذين يمالئون الاحتلال طمعا في المناصب ، وندد  
 بافتراءات الأوربيين في التقليل من شأن الشرقيين لتبرير أسباب  
 احتلالهم لمصر (١٧) . وقد استمر النديم في مهاجمته للانجليز في مجلة  
 الأستاذ معبرا في مقالاته عما يدور من أزمات بين الخديو وكرومر ،  
 فكتب النديم مقالا بعنوان « هذه يدي في يد من أضعها » طالب فيه  
 الأهالي بالوقوف الى جانب الخديو ووضع أيديهم في يده موضحا أنه  
 من الخير لمن يريد وضع يده في يد الاحتلال أن يقطعها بدل من أن يضعها  
 على هذا الخيال ، كما هاجم سياسة اذلال انجلترا لمصر واخلافها  
 لمعودها (١٨) وفي مقال آخر للنديم بعنوان « الحقوق المقدسة » طالب  
 المصريين جميعا بالخضوع للخديو والاعتراف بسلطته عليهم (١٩) وتحدث  
 عن الأزمة الوزارية ، وناصر الخديو في موقفه ، وهاجم موقف كرومر  
 من الأزمة ، ثم ندد بالانجليز ، فذكر أنهم يعيثون في البلاد فسادا  
 ويجهدون في التقليل من ثروتها ، وابعاد أبنائها عن الأعمال والوظائف  
 العالية ، كما أوضح أن البلاد « في حاجة لهجر باب الأجنبي وملازمة  
 أبواب الحكام الوطنيين » (٢٠) .

وعلى كل حال فقد كانت مقالات النديم بالأستاذ صرخة مدوية

(١٧) الأستاذ : الجزء الثاني والعشرون من السنة الأولى في ١٧  
 يناير ١٨٩٢ ، ص ٥٠٧ - ٥٣٣ .

(١٨) الأستاذ : العدد التاسع والعشرون في ٧ مارس ١٨٩٣ ،  
 ص ٦٩٥ .

(١٩) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون في ٢٤ يناير ١٨٩٣ ،  
 ص ٥٤٠ .

(٢٠) الأستاذ : العدد التاسع والعشرون ، ص ٦٩٥ - ٦٩٨ .

أيقظ بها الشعور الوطنى لدى المصريين ، وطالبهم بمناصرة الخديو  
الحاكم الشرعى للبلاد .

وبذلك استطاع النديم عن طريق مجلة الأستاذ اشعال نار الوطنية  
المصرية من جديد ، وقد فجرت الأزمة الوزارية ما يجيش بصدره  
من كراهية نحو الاحتلال فخرجت المظاهرات لأول مرة بعد وقوع مصر  
في قبضة الاحتلال تساند موقف الخديو وتعلن كراهيتها للاحتلال ؛  
كما هرع الناس الى سراى عابدين يهنئون الخديو على ثباته في  
موقفه (٢١) ، وخرج الشباب وعلى رأسهم مصطفى كامل بمظاهرات  
هاجمت جريدة المقطم وأحرقتها لانحيازها لأعداء الوطن والخديو  
مما دفع السلطات الانجليزية الى التهديد باستعمال القوة بحجة المحافظة  
على الأمن العام (٢٢) ، والى التلويح للخديو بضرورة اتباع سياسة  
والده حتى يستطيع المحافظة على عرشه (٢٣) .

ولكن الخديو لم يستمع اليهم : بل تقرب الى الشعب وأيد الحركات  
المنافئة للاحتلال : مما دفع النديم الى تأييده والذود عنه ، ومطالبة  
المصريين جميعا بالخضوع له والاعتراف بسيادته عليهم ، كما أستاذ  
به على صفحات مجلته (٢٤) ، وحث الأمة على التمسك بمحبته (٢٥) .  
وكان له المدح ، ووجه تلاميذه الى الالتفاف حوله وتأييد سياسته .

(٢١) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ :  
ص ٥٤٢ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٢٢) الأستاذ : العدد الرابع والعشرون فى ٣١ يناير ١٨٩٣ :  
ص ٥٥٥ تحت عنوان « لا دليل على دعوى تهديد الأمن العام » .

(23) The Parliamentary Debates. for Session 1893 Vol. XIII  
p. 115.

(٢٤) الأستاذ : العدد الثالث والعشرون ص ٥٤٥ بتاريخ ٢٤ يناير  
١٨٩٣. تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٢٥) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون ص ٩٢٦ بتاريخ ٢٣ مايو  
١٨٩٣ تحت عنوان « أعداء الحضرة الخديوية » .

ثم هاجم المقطم انتى اتخذت جانب العداء من الخديو (٢٦) ، فقال  
 « والأجراء التزموا في جريدتهم اليومية تنفير الأمة ، وتحسين  
 الاعتراف بسلطة الغير والتلويح بما يثف عن سوء مقاصدهم في  
 الجانب الخديوى ثم خرجوا عليه خروج البغاة .. فهم أعداء المسند  
 الخديوى الجليل وان كانوا لا يضرونه بشيء ، فان نباح الكلاب لا يؤذى  
 القمر في مداره (٢٧) » .

وقد اتصل الخديو بالنديم ، وتوثقت أواصر الود بينهما فزاد  
 الأمل في ضرورة ايقاظ الأمة من ثباتها ، ولما أحس أتباع كرومر  
 بخطورة اتصال النديم بالخديو حاولوا اجتذابه بالمنصب والجاه نظير  
 مهادنة الاحتلال ، ولكن النديم واصل كفاحه السياسى من أجل الدفاع  
 عن حقوق بلاده ، ونتيجة لذلك ولخشية انجلترا من تدهور الموقف في  
 غير صالحها قامت بزيادة عدد قواتها في مصر (٢٨) ، كما قام كرومر  
 بمحاولات للتقرب من الشعب باقامة الحفلات والادعاء بأن الانجليز  
 لا يرغبون سوى مصلحة الشعب ، وأن الخديو لو انفرد بالأمر سيعود  
 الى دكتاتورية أجداده .

وهكذا أثبت الاحتلال الانجليزى لمصر التناقض الواضح بين  
 أقواله وأفعاله اذ كانت انجلترا تردد دائما أنها ما جاءت الى مصر  
 الا للمحافظة على حقوق الخديو ، وهاهى الآن تحرمة من سلطاته .

ولما أحس كرومر بخطورة الموقف وقوة مكانة النديم في نفوس  
 الناس (٢٩) طالب بنفى النديم خارج البلاد وأصر على موقفه حتى  
 خرج النديم من مصر الى يافا .

(٢٦) الأستاذ : العدد السابع والثلاثون ص ٨٨٩ الى ٩ مايو ١٨٩٣

(٢٧) الأستاذ : العدد التاسع والثلاثون ص ٩٢٦ بتاريخ ٢٣ مايو

١٨٩٣ تحت عنوان « أعداء الحضرة الخديوية الفخيمة » .

(28) The Parliamentary Debates. for Session 1893 Vol. X:III

p. 2 - 3.

(٢٩) احمد تيمور : ترجم اعيان ، ص ٢٦ .

## (ج) الخديو والشيخ محمد عبده :

ازداد تقرب الخديو الى الأمة المصرية بعد حادث الحدود وفشله في السيطرة على الجيش فأخذ يدعو اليه العلماء والمتقنين من أبناء البلاد أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ حسونة الفواوي شيخ الجامع الأزهر وغيرهما ، وكان يسمح لهم بعقد الجلسات في قصره أول الأمر (٣٠) .

وقد اتصل الخديو بالشيخ محمد عبده عن طريق أحد أعوانه وهو ماهر باشا (٣١) ، وتوطدت العلاقات بينهما لدرجة أن الشيخ كان دائم الإتصال بالخديو ، يزوره في قصر عابدين مقر العمل الرسمي تارة ، ويدعى لزيارته أحيانا في قصرى القبة والمنتره ، حيث يقضى الخديو معظم أوقاته في أعماله غير الرسمية (٣٢) ، وفي إحدى المقابلات بينهما اشتكى الخديو للشيخ محمد عبده من استيلاء الانجليز على كافة أعمال الحكومة ، ووقوفهم أمام ما يرجوه للبلاد من الاصلاح ، فانتهز الشيخ محمد عبده هذه الفرصة ، واقترح على الخديو العمل على اصلاح الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية على أساس أن هذه المصالح الثلاث اسلامية محضة لا شأن للانجليز بها ، كما أن اصلاحها يساعد على اصلاح التربية والتعليم في البلاد ، كما يساعد على اصلاح المساجد واستقرار أمور العائلات ، وأنه لا يمكن اصلاح الأمة قبل أن يتم ذلك (٣٣) ، ولما اقتنع الخديو برأى الشيخ محمد عبده أشار عليه

(٣٠) كف الخديو، عن عقد هذا الاجتماع بقصره بعد أن وصل الي علم كرومر أمر هذه الاجتماعات .

جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى في ٦ مايو ١٩٥١ .

(٣١) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٣١٦ .

(٣٢) عباس العقاد : محمد عبده ، ص ٢٢٣ .

(٣٣) مجيد رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

الجزء الأول . القاهرة - مطبعة المنار - الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ .

ص ٤٢٧ .

أن يبدأ باصلاح الأزهر ، واتفقا على أن يقدم الشيخ محمد عبده  
مذكرة الى الخديو تتضمن ما يراه من الاصلاح المطلوب ، وكتب الشيخ  
المذكرة ، وانتهى البحث فيها الى تأليف مجلس لادارة الأزهر كما عين  
الشيخ جسونة النواوى وكيلا للأزهر ، على أن يقوم بمساعدة الشيخ  
محمد عبده في الاصلاح المنشود .

وكانت أول خطوة لاصلاح الأزهر زيادة رواتب شيوخه ، ووضع  
قانون للمرتبات فى الأزهر ، ليكون « لكل عالم حق معلوم يتناوله فى  
وقته من غير تزلف الى شيخ الجامع أو غيره (٣٤) » ، كما وضع قانونا  
لكساوى التثريف ومرتباتها ، وكان الرأى فيها من قبل لشيخ الجامع  
يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء ، فصارت تعطى لمستحقها ، فسر  
الشيوخ من ذلك ، كما وجه الشيخ محمد عبده عنايته الى اصلاح  
نظام التدريس والامتحانات ، والى انشاء دار الكتب الأزهرية ، ثم  
وضع نظاما لتوزيع الجرايات ، وعمل على الاهتمام بصحة طلاب  
الأزهر ، فسمى الى تعيين طبيب ، وانشاء صيدلية فى الجامع ، وتجديد  
مبان صحية فى الأروقة (٣٥) .

تلك كانت قصة الملتقى التاريخى بين الشيخ محمد عبده والخديو  
عباس الثانى وظلت العلاقات بينهما حسنة فى أول الأمر ، فكان الخديو  
يستعين برأى الشيخ كلما تطلبت الأمور ذلك ، وعندما تعقدت الأمور  
بين الخديو والانجليز حول تعيين قاض مصرى محل القاضى التركى  
أخذ الخديو رأى الشيخ محمد عبده ، وعندما تسببت مسألة ليون

(٣٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ .

(٣٥) نفسه : ص ٤٢٩ .

فهى (٣٦) فى توتر العلاقة بين الخديو والاحتلال وخصوصا بعد محاولة كرومر تفتيش قصر الخديو استشار الشيخ محمد عبده فيما يجب فعله .

وهكذا ظلت العلاقة طيبة بين الخديو والشيخ محمد عبده لفترة خصوصا وأن الخديو أراد أن ينتفع بقدرة الشيخ وشجاعته ومكانته الدينية فى الوقوف أمام سلطات الاحتلال ، وتوثقت العلاقة بينهما لدرجة أن الشيخ محمد عبده كان يؤم صلاة الجمعة فى مسجد الخديو أحيانا دون أن يذكر اسم السلطان أو يدعو له فى الخطبة وذلك حين كانت العلاقة بين الخديو والسلطان متوترة (٣٧) .

ولم يقدر للعلاقة الحسنة بين الخديو والشيخ أن تستمر فقد أخذت هذه العلاقة تسوء تدريجيا وقد أوضح أحمد شفيق السبب فى ذلك فقال « ان العلاقات بين الخديو والشيخ محمد عبده ظلت على أحسن حال ولكن حدث يوم ٨ نوفمبر أن قابل مصطفى كامل والشيخ على يوسف سمو الخديو ، ومكثا عنده مدة كبيرة ؛ وبعد أيام بلغنى أن الخديو ينقم على الشيخ محمد بسبب ما قدماه فى حقه من الوثائيات (٣٨) » .

(٣٦) اتهم ليون فهى بتزوير اختام باسم رئيس كتاب السلطان تقبض عليه الخديو وحبسه ، وتدخّل كرومر فى الأمر وطلب من الخديو تسليم ليون فهى ولما أنكر الخديو معرفة مكانه أراد كرومر تفتيش قصر الخديو ، فاستشار الخديو الشيخ محمد عبده فى الأمر فأشار عليه ان يتأكد أولا من خلوا القصر ويخت المحروسة من ليون فهى ثم يكتب بلاغا الى مستهدى الدول المعترفين باستقلال مصر بأن كرومر يريد الاعتداء على حرمت قصره ، وأن يبلغ فى نفس الوقت كرومر بأنه سيفعل ذلك اذا اجتريا على تنفيذ امر التفتيش ؛ ولما فعل الخديو ذلك تراجع الانجليز عن تفتيش القصر .

أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦٨ .

(٣٧) المسدى : المرجع السابق .

(٣٨) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٤١٣ .

والمواضع أن هناك أسبابا أخرى غير ذلك نذكر منها :

١ - أن بعض علماء الأزهر اتصلوا بالخدويو ، وشككوه فيما كان أقتنعه به الشيخ محمد عبده من فساد التعليم في الأزهر وفساد أخلاق رجال العلم والدين ، والحاجة الى تجديد التربية والتعليم وأوضحوا له أن الشيخ كان مبالغاً في وصف سوء حالهم (٣٩) .

٢ - كان للشيخ محمد عبده شخصية قوية تجلت في علاقته مع الخديو حتى قال عنه « أنه يدخل عليه كأنه فرعون (٤٠) » .

٣ - اتهام البعض للشيخ محمد عبده أنه يكره أسرة محمد على « ويؤلف عصبية في مصر لنزع الامارة منهم وجعلها جمهورية (٤١) » .

٤ - علاقة الشيخ محمد عبده الودية مع الانجليز وتعدد اتصالاته بهم لدرجة أن كرومر كان يأخذ رأيه في بعض الأمور وقد صور البعض للخديو هذه العلاقة بأنها تأييد للاحتلال الانجليزى لمصر .

٥ - اتضح ميول الخديو الاستبدادية لدى الشيخ محمد عبده الذى بدأ يحس به عمليا بعد أن أصبح عضوا في مجلس ادارة الأزهر ورأى محاولات الخديو لاجتذاب العلماء بوسائل لم يوافق عليها الشيخ .

وقد بدأت الاحتكاكات بين الخديو والشيخ عندما خلا مكان الكسوة التشريفية في الأزهر بموت أحد كبار العلماء ، فطلب الخديو من شيخ الأزهر منح هذه الكسوة لمفتى المعية الشيخ محمد راشد (٤٢) .

(٣٩) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٥٧٠ .

(٤٠) نفسه : ص ٥٧٣ .

(٤١) نفسه : ص ٥٧٤ .

(٤٢) الشيخ محمد راشد المالكى من علماء الأزهر : عمل خطيباً بمسجد حلوان ولما توفى الشيخ محمد البسيونى مفتى الديوان الخديو عين الشيخ محمد راشد فى هذه الوظيفة بماهية شهرية ثمانية عشر جنيهاً . دار الوثائق : معية سنية عربى رقم ٤٥٣٨٣ سجل ٣٨١ نمره ٢٤٢ بتاريخ ٧ نوفمبر ١٨٩٢ .

ولما كان هذا لا يتفق واللائحة اعترض الشيخ محمد عبده على الأمر  
وطلب اعطاء الكسوة للمستحق مما أدى الى استياء الخديو .

ولما اجتمع العلماء عند الخديو في مقابلة التشريفات الشهرية  
قال الخديو لشيخ الأزهر بصوت الاستياء ألم يصلك أمرى ، بتوجيه  
الكسوة الى الشيخ محمد راشد ؟ فتلعثم شيخ الأزهر فى الاعتذار ،  
فنهض بالجواب الشيخ محمد عبده ، وقال بصوت جهورى ان الذى قرره  
مجلس ادارة الأزهر يعتبر تنفيذا للأوامر الخديوية ، أما الأوامر  
الشفوية فلا نعرفها ، « واذا شاء أفندينا أن تكون كساوى التشریف  
العلمية بمقتضى ارادته الشخصية فليصدر بذلك قانونا آخر (٤٣) » .

ولما سمع الخديو جواب الشيخ محمد عبده الذى يحمل معنى  
الحق والعدل غضب ، ووقف ايذانا للحاضرين بالانصراف فانصرفوا ،  
وقد أعقب هذه الحادثة وقوف الشيخ محمد عبده ضد رغبة الخديو  
فى استغلال أموال الأوقاف . فبعد الهزائم القوية التى لقتها كروم  
للخديو ، بدأ الخديو يوجه أنظاره الى جمع الأموال من كل مورد مفتوح  
أمامه ، ولما كانت أهم هذه الموارد هى خزائن الأوقاف ، ووصايا  
التركات ، والتى بحكم منصب الشيخ محمد عبده فى الافتاء يكون له  
سلطة اقرار الأموال التى تصرف من هذه الأوقاف ، فقد حدث الصدام  
بينهما خصوصا وأن الخديو كان ينفق من هذه الأموال على أوقاف  
أسرته ، ومزارعه الخاصة .

ولما عرض الخديو على مجلس الأوقاف الأعلى فى نوفمبر ١٩٠٣  
استبدال بعض أراضى الأوقاف المعدة للبناء فى الجيزة بمزرعة من مزارعه  
الخاصة بتفتيش مشتهر على أن يحصل فى نظير ذلك على ثلاثين ألف  
جنيه كفرق للاستبدال ، على أساس أن ربيع المزرعة أكثر من ربيع  
الأرض ، اعترض الشيخ محمد عبده على أساس أن الأنفع

---

(٤٣) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٥٧٣ .

للووقف في مثل هذه الأمور انما يعرف بتقدير الثمن لا بالغلة السنوية، وطلب تعيين لجنة برئاسة باثمهندس الأوقاف لتقدير ثمن كل من الأرض والمزرعة وقد وافق حسن باشا عاصم نائب الخديو في مجلس الأوقاف<sup>(٤٤)</sup> ، وتقرر تأليف لجنة لفحص الموضوع ، وبعد الفحص تقرر بأن الذي يدفع الفرق هو الخديو وليس الأوقاف ، وتحدد أن يدفع الخديو عشرين ألف جنيه فوق المزرعة واضطر الخديو الى الموافقة على ما قرره اللجنة .

ونتيجة لذلك ازداد التوتر بين الخديو والشيخ فأراد عزله من منصب الافتاء ، ولما كان هذا المنصب بعيدا عن سيطرة الحكومة رأى الخديو اقناع كرومر بعزل الشيخ محمد عبده ، ولكن كرومر أوضح للخديو بأنه لا يوافق على فصل الشيخ من منصبه طالما ظل معتمدا بريطانيا لمصر<sup>(٤٥)</sup> .

ولما لم يتمكن الخديو من فصل الشيخ محمد عبده أراد الحط من شأنه والتشهير به وحض الجرائد الموالية له على مهاجمته .

وقد تلقى الشيخ محمد عبده سؤالين من بعض مسلمي الترنسغال وهما :

١ - بقر يضرب على رأسه بالبلمطة حتى تضعف مقاومته ، ثم يذبح قبل أن يموت بدون تسمية الله عليه ، فهل يجوز أكل لحمه ؟ فأفتى الشيخ بخلها ، فانتهر العلماء المناوئين له ذلك وأقاموا عليه قيامتهم أنها محرمة .

٢ - يوجد أفراد مسلمون في بلاد الترنسغال يلبسون القبعات

(٤٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٤٩٧ .

(٤٥) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ - القسم الثاني ،

لقضاء مصالحهم ، فهل يجوز ذلك ؟ فأفتى الشيخ بالجواز وقال :  
« أما لبس البرنيطة اذا لم يقصد فاعله الخروج من الإسلام والدخول  
في دين غيره فلا يعد مكفرا ، واذا كان اللبس لحاجة من حجب الشمس  
أو دفع مكروه فذلك مباح (٤٦) » .

وكان هدف الشيخ من ذلك هو التخفيف على مسلمي الترنينغال  
حتى لا ينفروا من تقاليد الدين ، وحتى لا يعرض بعضهم عن الإسلام  
بعد الاقبال عليه ، ولكن أعداءه انتهزوا هذه الفتوى وقاموا بالتشهير  
به حيث حرضهم الخديو على اتهام الشيخ بالزندقة ، فاختلفوا بنقض  
الأكاذيب ضده ، وخصوصا وأن قراء الصحف في ذلك الوقت كانوا  
لا يعرفون الكثير عن صناعة التصوير الشمسي التي يستطيع صانعيها  
تلفيق رسم واحد من ثلاثة رسوم أو أربعة متفرقات ، فلفقوا له صورة  
شمسية في حلبة رقص وهو يخامر فتاة افرنجية وكلبها يعبث بأطراف  
جبته (٤٧) ، ونشروا ذلك في جريدة الحمارة الهزلية مع طعن في المفتي أنه  
يجالس نساء الافرنج ، وذلك يعد ازدراء بمنصبه الديني ، وقد أرسلوا  
هذه الصورة الى اللورد كرومر مع رجل أراد اقناعه بأن هذا في عرف  
المسلمين ازدراء بشعورهم وكان رد اللورد أن هذه الصورة لا يثبت لها  
عنده أصل وأن الشيخ محمد عبده كثيرا ما يزوره وتحضر مجلسه لادى  
كرومر وغيرها فهل يصح أن يعتبر هذا اهانة له أو لنا ؟ أم يصح أن  
نهتم بشعور المتعصبين الجهلاء ونبنى عليه ردا مهما. كهذا (٤٨) .

ومن المكائد التي دبرها الخديو للشيخ أيضا أنه قال لكرومر الذي  
أراد منع الحج اتقاء للوباء أن هذا يمكن بفتوى من المفتي لأن الحكومة  
لا تعمل الا بفتواه حتى اذا أفتى الشيخ بذلك أقام عليه قيامه العلماء

(٤٦) أحمد امين : المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .

(٤٧) عباس العقاد : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٤٨) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٥٥٨ .

والجرائد ، وقلل من قيمته لدى الشعب ، وان لم يفت ضايق الانجليز ، ولكن الشيخ فطن لمكيدة الخديو ، وردھا اليه بأن قال لرئيس النظار الذي طلب منه الفتوى ، أنه ليس هناك الا طريقة واحدة ، وهي أن يقول الخديو أنه ثبت عنده أن السفر الى الحجاز في هذه السنة موقع للحجاج في خطر وتهلكة ، وحينئذ يفتيه العلماء بأن له منعيم من القاء أنفسهم في التهلكة ما دامت معلومة ثابتة عنده ، وعندما سأله رئيس النظار هل يكفي ثبوت هذا عند الحكومة قال المفتي لابد أن يثبت هذا عند الخديو فهو نائب السلطان والمسئولية عليه وحده ، وبذلك فشلت دسيمة الخديو التي تتبها لها الشيخ (٤٩) .

وبعد انكسار الجيوش الانجليزية في حرب الترنسغال أشار محمد رشيد رضا على الخديو بأنه من الممكن السعى لجلاء الجيوش البريطانية عن مصر بأسلوب يوافق عليه الانجليز ، وذلك بأن يقول لكرومر اذا كنتم في حاجة الى ارسال قواتكم الموجودة في مصر الى الترنسغال فيمكن أن يتم ذلك بمقتضى اتفاق معنا ترضونه لتأمين مصالحكم في مصر دون وجود هذا الجيش ، فانتهز الخديو ذلك وأراد ايقاع الشيخ محمد عبده في الشرك ، وأن يوقع بينه وبين الانجليز فقال لرشيد رضا وما رأى الشيخ محمد في هذا ؟ فلما قال له أنه لم يعرض هذا الأمر عليه طلب منه الخديو أن يذهب الى الشيخ ويعرض عليه الموضوع ، ولما فطن الشيخ للمكيدة قال اذا وافقت على هذا الرأي فان الخديو سيقول لكرومر أن الشيخ محمد عبده يدفعني الى أن أغتتم الفرصة لطرده الجيش الانجليزي من البلاد لذلك قال لرشيد رضا قل للخديو أن هذه المسألة مهمة ويجب على الخديو أن يفكر فيها كثيرا قبل بيرم رأيا (٥٠) ، ولما فشلت دسائس الخديو ضد الشيخ محمد عبده رفع تقارير الى

(٤٩) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٥٩ .

(٥٠) نفسه : ص ٥٥٩ - ٥٦٠ .

السلطان عبد الحميد يطعن في الشيخ ويتهمه بعداوة الخليفة والسعى  
لخلفه (٥١) :

وهكذا جاهد الشيخ محمد عبده وسط جيش من الخصوم يقوده  
الخديو ووقف صامدا أمام هجماتهم •

لقد عاب البعض على الشيخ محمد عبده أنه نظر الى الخديو  
من عدسة سوداء ، ولم ينظر الى الجانب الأبيض منه ، وهو تشجيعه  
للحركة الوطنية ورفضه الاستسلام للمحتلين (٥٢) ومع أننا نتفق مع  
هذا الرأي بعض الشيء ، فاننا نرى أن الخديو كان مذنباً في مقاومته  
للاحتلال وخصوصا بعد الدروس التي لقتها له كرومر ، وأن الخديو  
لم يشجع الحركة الوطنية الا كمحاولة له لكي يسترد سلطته من اللورد  
كرومر وهذا ما سنوضحه فيما بعد •

وعلى كل حال فقد وقف الخديو بالمرصاد للشيخ محمد عبده حتى  
أجبره على الاستقالة من الأزهر في ٢١ مارس ١٩٠٥ وفي نفس العام  
أحس الشيخ محمد عبده بوطأة المرض فعزم على السفر الى أوروبا  
للعلاج ، ولكن الأطباء نصحوه بالبقاء وحببوا له الإقامة في الاسكندرية ،  
وفي ١١ يوليه ١٩٠٥ برأت روحه الى ربها عن عمر يناهز السادسة  
والخمسين وعلى أثر ذلك أعلن مجلس شورى القوانين عن أسفه وحزنه  
لوفاة الشيخ محمد عبده ، وعدد خدماته الجليلة ، وأعماله النافعة التي  
أسداها للوطن (٥٣) كما قرر مجلس النظار أن تحتقل الحكومة رسمياً  
بتشييع جنازته ، ولما سار أحمد شفيق في الجنازة مع كبار المشييعين ؛

(٥١) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ، ص ٥٦٠ .

(٥٢) أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .

(٥٣) مجلس شورى القوانين : مجموعة محاضر جلسات ١٩٠٥ -

محاضر جلسة الثلاثاء أول أغسطس ١٩٠٥ ، ص ٣١ .

غضب الخديو عليه وأذبه بقوله « انها جنازة والميت كلب (٥٤) » كما قال له « يظهر والله أعلم — أنكم أردتم بالسير وراء نعشه المجاملة بعد الموت ، وهو على ما تعهدونه عدو الله وعدو النبي وعدو الدين وعدو الأمير ، وعدو العلماء وعدو المسلمين . وعدو أهله بل وعدو نفسه فلم هذه المجاملة (٥٥) » .

والجدير بالذكر أن تشهير 'لخدو بالشيخ محمد عبده لم يقل من قيمة هذا الرجل الذى طبع عصره بطابعه ككاتب وعالم ووطنى • ومعلم دينى ومصلح اجتماعى •

#### (د) نشاط الخديو السرى ضد الاحتلال :

بعد حادث الحدود قامت مجموعة من رجال الجيش المصرى فى السودان بتأليف جمعية سرية عرفت باسم جمعية المودة السرية . كان لها فرع فى وادى حلفا وآخر فى سواكن (٥٦) ، وكانت تضم ضباطا مصريين من رتب مختلفة ولهم يمين ولاء •

وقد بدأت هذه الجمعية أعمالها بإرسال تقارير وخطابات بانثشرة المتفق عليها الى قصر الخديو (٥٧) كما حرصت فرقتين سودانيتين من الجيش المصرى فى أم درمان فى يناير ١٩٠٠ على طرد ضباطهم الانجليز والاستيلاء على الذخيرة وأشاعوا بين الجنود السودانين أن انجليز سيرسلون الجيش المصرى الى جنوب افريقية ليذبحه البوير (٥٨) .

(٥٤) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ مجلد ٢ ، ص ٦٣ وما بعدها .  
(٥٥) نفسه .

(٥٦) جريدة المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ١٠ مايو ١٩٠١ .

(٥٧) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(58) Ronald Wingate : Wingate of the Sudan 1955 p. 128 - 131.

( م ٨ — الخديو عباس الثانى )

ولما قبض على مدبرى هذه الحركة طلب ونجت حاكم عام السودان استصدار أمر خديو يعتبر هؤلاء الضباط متمردين وعصاة رفض الخديو ذلك واكتفى بطلب محاكمتهم أمام مجلس عسكرى عال طبقا للقوانين العسكرى (٥٩) ، ولما كان كرومر برتاب فى أن يكون للخديو دخل فى ذلك حاول احراجه ، فطلب منه مقابلة هؤلاء الضباط وتوبيخهم فاذا رفض يتضح الدليل على تعاطفه معهم (٦٠) ، وقد رد الخديو على طلب كرومر بأن يرسل اليه صيغة نص التوبيخ ، ولما حضر المتهمون أمام الخديو أخرج النص الذى أرسله اليه كرومر ، وعندما شرع فى قراءته أخذ يغمغم بالقول فلم يفهم الضباط ، ولا الكولونيل الانجليزى ما يقوله الخديو (٦١) ، وانتهى الأمر بمحاكمة الضباط المتهمين أمام مجلس تأديب . وتقرر فصل بعضهم . واحالة البعض الآخر الى الاستيداع (٦٢) .

ومما يوضح صلة الخديو بهذه الحركة أنه عين ضباطها الذين أحيلوا الى الاستيداع فى وظائف مدنية (٦٣) .

وأخذ كرومر يضيق الخناق على الخديو بهدف احباط سيطره على الجيش نهائيا ، وساعد على ذلك أن ضابطا برتبة الميوزباشى أتهم بالاختلاس ، ولكى ينفذ نفسه وشى بأسماء خمسة وسبعين من الضباط الذين ينتمون الى جمعية المودة السرية ، فانكشف الأمر وضاعت سيطره الخديو على الجيش نهائيا ولم يجد أمامه سندا سوى الاعتماد على العناصر الوطنية من المدنيين فبدأ يتصل بهم حتى يساندوه فى صراعه ضد القنصل البريطانى ممثل الاحتلال .

(٥٩) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ القسم الأول . ص ٣٢١

. ٣٢٢

(٦٠) الحرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ٥ مايو ١٩٥١ .

(٦١) نفسه .

(٦٢) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٦٣) مذكرات عباس الثانى فى ٥ مايو ١٩٥١ .

وقد شهدت مصر مولد جمعية سرية قدر لها أن تكون نواة للحزب الوطنى فيما بعد وهى جمعية الحزب الوطنى وقد أسس هذه الجمعية لطيف سليم الذى حبذ أسلوب العمل السرى لتحرير الشعب بعيدا عن أى وصاية أو سلطة ، وقد انضم الى هذه الجمعية مصطفى كامل ومحمد فريد ومحمود أنيس ومحمد خلوصى وأحمد الصوفانى وعبد اللطيف الصوفانى (٦٤) .

وقد اهتم لطيف سليم بتوسيع قاعدة هذه الجمعية وتنظيمها ، يعرض تنظيم العمل من أجل الاستقلال ، وعرض القضية المصرية على الدول الأوروبية والناداة بجلاء الانجليز عن مصر (٦٥) .

ولما عد الخديو عباس الثانى يده لمساعدة هذه الجمعية لم يتردد أفضاؤها فى التعامل معه ، بل اعتبروا ذلك فرصة لتقوية العمل الوطنى (٦٦) حيث ان تواجهه كان ضرورة ملحة اقتضتها الظروف الجمعية التى سايرت العمل الوطنى .

وفى عام ١٨٩٥ ألف الخديو لجنة سرية من بعض رجال المعية بالاتفاق مع مصطفى كامل (٦٧) : واستعان ببعض الفرنسيين الذين كانوا يشغلون مناصب فى مصر وبيعض الصحفيين الذين عملوا بها . وقد قامت هذه اللجنة بالدعاية لقضية استقلال مصر فى فرنسا بصقة خاصة وأوربا بصفة عامة ، وذلك عن طريق الكتابة فى الصحف بأسماء

(٦٤) عصام ضياء الدين : النضال السرى فى الحركة الوطنية — بحث ألقى فى ندوة تاريخ مصر المعاصر فى الفترة من ١٥ — ٢٠ سبتمبر ١٩٧٣ .

(٦٥) نفسه .

(٦٦) خطابات محمد فريد : مظروف (٣٠) مسودة تقرير بعنوان Nationalisme en Egypt.

(٦٧) جريدة المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ١٤ مايو

مستعارة ، وكذلك باحطب النى كان يلقيها مصطفى كامل ، وقد استطاعت هذه اللجنة الحصول على تاييد بعض أعضاء البرلمان الفرنسى وشركة هافاس للانباء ، وعدد كبير من الصحف الباريسية وكان Louis Rouiller السكرتير الخاص للخديو له دور كبير فى ذلك .

ولتوحيد جهود جمعيه الحزب الوطنى واللجنة السرية ، عمل الخديو على ادماج هذين التنظيمين فى تشكيل واحد بهدف احتكاك المصريين بالأوروبيين حتى يكون العمل أكثر ايجابية ، واتفق على أن يطلق عليه « جمعية أحياء الوطن السرية » وقد شكلت هذه الجمعية من بعض الشبان المصريين الذين تلقوا تعليمهم العالى فى مصر وخارجها. مثل اسماعيل الشيمى . ويوسف صديق ، ومحمود سالم القضاة بمحكمة المنصورة المختلطة ، ومن بعس رجال القصر مثل أحمد شفيق رئيس فلم الترجمة بالديوان الأفرنجى . وروليه بك سكرتير الخديو الخاص (٦٨) أما عن الجانب الفرنسى فقد ضم جافيو Gavillot الصحفي ونائب الجالية الفرنسية بالقاهرة ومسيو آن مارى ، ومسيو جوردان ببترى المستشارين القضائيين ومسيو برونط Pront المندوب الفرنسى فى ادارة سكة حديد الدولة ومسيو بونتون Bontern رئيس اللجنة المختلطة للدومين والمسيو برويتير Prautières رئيس المحكمة المختلطة الابتدائية بالقاهرة .

وكانت مهمة هذه اللجنة الدفاع عن القضية المصرية أمام الرأى العام الأوروبى واثارة موجة من الكراهية ضد انجلترا .

وقد تمكن الخديو من ضم وكيل شركة هافاس الى اللجنة على أن يتخلى عن الشركة فى مقابل مبلغ من المال دفعه الخديو اليه بواسطة يوسف صديق (٦٩) ، على أن يقوم بارسال البرقيات التى تؤيد آراء

(٦٨) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٦٩) أحمد شفيق : أعمالى بعد مذكراتى ، ص ٣٤١ .

الخديو ، ثم أصدر بعد ذلك جريدة du Caire للدفاع عن القضية المصرية (٧٠) ، وقد تمكنت هذه اللجنة من إقناع الحكومة الفرنسية بوضع سفينة حربية في قناة السويس ، وأن تظل رايتها مرفوعة عليها . ورغم ذلك فإن التعاون بين الفرنسيين والمصريين سرعان ما أثبت فشله ، وذلك لاختلاف مصالح كل منهما فالفرنسيون رأوا في مساعدة القضية المصرية سبيلا لإعادة وضع مصر تحت سيطرة النفوذ الفرنسي ، أما المصريون فنظروا الى المسألة المصرية على أنها قضية تخص مصير شعب مصر وحده ونتيجة لهذا التضارب انفرط عقد الائتلاف وانشق الأعضاء المصريون مفضلين العودة الى تنظيمهم السابق وبالتالي عادت اللجنة الفرنسية الى حالتها الأولى (٧١) .

ولما أجس المصريون بأن العبء الأكبر في الدفاع عن الاستقلال بلادهم يقع على كواهلهم ازدادوا ايمانا بضرورة الاعتماد على أنفسهم فتأسست جمعية سرية أخرى في بنى سويف في عام ١٨٩٦ أطلق عليها جمعية تحرير مصر ، وكان هدفها تحرير البلاد من الاحتلال البريطاني . وكان من أعضاء هذه الجمعية أحمد طلعت رئيس نيابة بنى سويف ووكلاء النيابة حامد رضوان ومحمد بدر الدين وعبد العزيز فهمي ، ومعاون النيابة أحمد لطفى السيد ، والدكتور عبد الحلیم حلمي ، وعلى بهجت الأثرى وصيدلى من طنطا يدعى محمد عبد اللطيف ، وقد حاول الخديو ضم هذه الجمعية الى جمعية الحزب الوطنى عن طريق مصطفى كامل الذى اتصل بلطفى السيد وأخبره بذلك ، فوافق لطفى السيد (٧٢) وتقابل مع الخديو الذى طلب منه السفر الى سويسرا لاكتساب الجنسية السويسرية ، لأنها لا تكلف الراغب فيها الا الإقامة سنة واحدة ، ثم

(٧٠) المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٨ مايو ١٩٥١ .

(٧١) عصام ضياء الدين : المرجع السابق .

(٧٢) نفسه .

يعود الى مصر ليحرر جريدة تقاوم الاحتلال البريطانى فلا يستطيع الاحتلال أن يحوله دون ذلك (٧٣) .

واجتمع لطفى السيد ومصطفى كامل وغيرهما بمنزل محمد فريد وتم تأليف الحزب الوطنى كجمعية سرية رئيسها الخديو ، وأعضاؤها مصطفى كامل ومحمد فريد وطفى السيد وسعيد الشيمى ياور الخديو ومحمد عثمان ولييب مضم (٧٤) .

وقد بنى لطفى السيد الى سويسرا وقابل هناك الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين ، وبعض المستشرقين ثم عاد الى مصر ، وقدم تقريرا للخديو يتلخص فى أن مصر لا يمكن أن تستقل الا بمجهود أبنائها ، وأنه لا يحرر المصريين غير المصريين ، وأن المصلحة الوطنية تقتضى بأن يرأس الخديو حركة شاملة للتعليم العام (٧٥) .

ويذكر لطفى السيد أن أعضاء جمعية الحزب الوطنى حرصوا على اتخاذ أسماء مستعارة لهم ، فكان الخديو يلقب باسم « الشيخ » ومصطفى كامل باسم « أبو الفداء » ، وطفى السيد باسم « أبو مسلم » (٧٦) .

وقد ظل مصطفى كامل لسان حال هذه الجمعية فسافر الى بعض

(٧٣) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ج ٦ — أحمد لطفى السيد فى الجريدة . القاهرة — دار الفكر العربى . الطبعة الأولى ١٩٥٤ ، ص ٤٩ .

(٧٤) نفسه .

(٧٥) أحمد لطفى السيد : قصة حياتى . القاهرة — سلسلة كتاب الهلال ١٩٦٢ : صفحات ٣٥ ، ٣٨ — ٣٩ .

(٧٦) د. عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

دول أوروبا خصوصا فرنسا وألمانيا والنمسا وتركيا للدعاية لقضية استقلال مصر (٧٧) ، ومع ذلك فقد خرج مصطفى كامل بعد عام واحد من نشاطه بحقيقة واضحة ، وهي أن أسلوب الدعاية للقضية المصرية في أوروبا لا يكفي لحدوث استقلال مصر ، وأن العبء الأكبر يجب أن يكون على عاتق المصريين الذين يجب عليهم العمل بكل قواهم من أجل استقلال بلادهم .

---

(٧٧) حول تفاصيل هذه الدعاية انظر :

عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٤٩ - ٦٣ .